

أضواء البيان

. @ 10 @ .

وقد أوضحنا وجه حصر ما أوحى إليه صلى الله عليه وسلم ، في مضمون لا إله إلا الله ، في قوله تعالى { قُلْ إِنْ زَعَمْتَ أَنْ يُوْحَى إِلَيَّ أَنْ زَعَمْتَ إِلَّا هُكُومٌ إِلَّا لَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مَسْئُولُونَ } في سورة بني إسرائيل ، في الكلام على قوله تعالى { إِنْ هَذَا إِلَّا الْفُتْرَاءُ أَنْ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ } . .

وبينا في مواضع متعددة من هذا الكتاب المبارك إنكار المشركين كون الرسل من البشر ، وأنهم ينبغي أن يكونوا من الملائكة ، وما رد الله عليهم به ذلك من الآيات القرآنية ، أوضحنا ذلك في سورة ص ، في الكلام على قوله تعالى : { وَاعْجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْهُمْ } وفي سورة بني إسرائيل ، في الكلام على قوله تعالى : { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يَأْمُرُوا } إلى قوله : { لَنَنْزِلَنَّ عَلَيْنَهُم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا } . قوله تعالى : { وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالزَّكَاةِ وَهُمْ بِاللَّاتِ خِرَّةٌ هُمْ كَافِرُونَ } . قد استدل بعض علماء الأصول بهذه الآية الكريمة ، على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ، لأنه تعالى صرح في هذه الآية الكريمة ، بأنهم مشركون ، وأنهم كافرون بالآخرة ، وقد توعدهم بالويل على شركهم وكفرهم بالآخرة ، وعدم إيتائهم الزكاة ، سواء قلنا إن الزكاة في الآية هي زكاة المال المعروفة ، أو زكاة الأبدان بفعل الطاعات واجتناب المعاصي . .

ورجح بعضهم القول الأخير لأن سورة فصلت هذه ، من القرآن النازل بمكة قبل الهجرة ، وزكاة المال المعروفة إنما فرضت بعد الهجرة سنة اثنتين ، كما قدمناه في سورة الأنعام ، في الكلام على قوله تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } . . وعلى كل حال ، فالآية تدل على خطاب الكفار بفروع الإسلام . .

أعني امثال أوامره واجتناب نواهيه ، وما دلت عليه هذه الآية الكريمة ، من كونهم مخاطبين بذلك وأنهم يعذبون على الكفر ، ويعذبون على المعاصي ، جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى عنهم مقررًا له : { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ } قَالَُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نَطُعمُ الْمُحْسِنِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاحِشِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِرِيسَومِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ } .